أباطيل
في التفسير الإعلامي

دكتور/صالح بن أحمد بن عبيد العلوي
أستاذ الكتاب والسنة المساعد
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز

المقدمـــة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فشرف كلّ علمٍ يقدّر بشرف موضوعه، ومجال بحثه، وشرف علـم التفـسير يستمد من شرف مجال بحثه، فليس هناك ما هو أعظم من القرآن الكريم، والدفاع عنـه وتفنيد الأباطيل حوله هو من جملة الجهاد المطلوب.

وغاية هذا البحث هو تفنيد الأباطيل المنتشرة في تفسير القرآن فـي الإعـلام بأنواعـه المرئية والمسموعة والمقروءة.

لكن قبل مناقشة ذلك، كان لابدّ أولًا من معرفة معنى الأباطيل، وماهيّة علـم التفـسير، وأنواع المصنفات في التفسير، وتعريف الإعلام وأقسامه، ثم التعريج على ذكر مصادر التلقي للعلوم الشرعية عامّة ومصادر علم التفسير خاصّة، مـع الإشـارة إلـى الواقـع التفسيري اليوم،وكذلك الواقع الإعلامي؛ لتتبلور لنا الأسباب التـي أدّت إلـى مـشكلة انتشار الأباطيل في التفسير الإعلامي في العصر الحـديث،ومظاهر الانحـراف فـي التفسير الإعلامي.

لذلك كانت خطة هذا البحث كالتالي:

المقدمة: وفيها غاية هذا البحث، وخطّته.

التمهيد: وفيه معنى الأباطيل، ومعنى التفسير في اللغة والاصطلاح وأنواعه، ومعنـى الإعلام وأقسامه.

المبحث الأول: مصادر التلقي للعلوم الشرعية:

أولا: مصادر التلقي للعلوم الشرعية كافة

ثانيا: مصادر تلقي علم التفسير

المبحث الثاني: الواقع التفسيري اليوم

المبحث الثالث: الواقع الإعلامي في العصر الحديث

المبحث الرابع: أسباب ظهور الأباطيل في التفسير الإعلامي، وفيه:

أولًا: حب الشهرة.

ثانيًا: الهوى وحب الدنيا

ثالثًا: الغزو الفكري والثقافي

رابعًا: غياب الوازع الديني (أشراط الساعة)

المبحث الخامس: مظاهر الانحراف في التفسير الإعلامي،وفيه:

أولا: التفسير العقلاني

ثانيا: التفسير العلمي المنحرف

المبحث السادس: نماذج من التفاسير المنحرفة عند الإعلاميين

التمهيد

قبل الشروع في الحديث عن الأباطيل في التفسير الإعلامي نمهّد بتعريف لمفردات عنوان البحث.

أولًا: معنى أباطيل:

أَبَاطِيلُ جمع بَاطِل على غير قياس، كأنهم جمعوا إبطيلًا.

ومنه قول كَعْب بن زُهَير:

كانَتْ مَواعِيدُ عُرْقوب لَهَا مَثَلًا ... وما مَوَاعِيدُهَا إلَّا الأَبَاطِيلُ[1]

والبَاطِل: نقيض الحقّ، وباطِلٌ بَيِّنُ البُطُول، وقد بَطَلَ الشيء يَبْطُلُ بُطْلاً وبُطولاً وبُطْلاناً،وأَبْطَلَ: جَاءَ بِالْبَاطِلِ، وأَبْطَلَهُ غيره. ويقال: ذهب دمه بُطْلاً، أي هَدراً. والبَطَلُ: الشجاع، والمرأة بَطَلَة. وقد بَطُلَ الرجل بالضم يَبْطُلُ بُطولَةً وبَطَالَةً، أي صار شجاعًا تَبْطُلُ جِراحَتُه فَلاَ يَكْتَرِثُ لها، ولا تَبْطُلُ نَجادَتهُ، وقيلَ: هو الذي تَبْطُلُ عِندَه دماءُ الأَقران. وبَطَلَ الأجيرُ بالفتح بَطَالَةً، أي تعطّل فهو بطّال، ورجل بطّالٌ أيضًا: ذُو بَاطِل، وتَبَطَّلُوا بَيْنَهم: تَدَاوَلُوا الباطِلَ، وبينَهم أُبْطُولَةٌ يَتَبطَّلُونَ بها، أي: يَقُولُونَها، ويَتَداوَلُونَها[2].

والبَطَلَةُ: السَّحَرة، مأْخوذ مِن البَاطِل، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "وَلَا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ"[3].

ثانيا: معنى التفسير

أ- معنى التفسير في اللغة:

التفسير هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان آية [٣٣]: {ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا}،أي أحسن بيانًا وتفصيلًا، وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة وكشف المغطّى[4].

وقال في لسان العرب: "الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسرا وفسره: أبانه، والتفسير مثله. ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد.

---

(١) ديوان كعب بن زهير (ص: ٤٦) من قصيدته التي مطلعها:

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٦٣٥)، المخصص (٤/ ٥٠)، المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ١٧٨)، مختار الصحاح (ص: ٣٦)، لسان العرب (١١/ ٥٦)، تاج العروس (٢٨/ ٩٠).

(٣) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ. صحيح مسلم (١/ ٥٥٣) رقم (٨٠٤).

(٤) القاموس المحيط (ص: ٤٥٦).

وقوله عز وجل: {وأحسن تفسيرًا}؛ الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"[١].

وقال أبو حيان: "وينطلق أيضا التفسير على التعرية للانطلاق. قال ثعلب: تقول فسرت الفرس عريته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري"[٢].

ب- معنى التفسير في الاصطلاح:

عرفه أبو حيان بأنه: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك"[٣].

وعرفه الزركشي بأنه: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"[٤].

وعرفه بعضهم بأنه: "علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية"[٥].

وقيل فيه: "علم نزول الآيات، وشئونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"[٦].

ج- أنواع التفسير:

يمكن تقسيم المصنّفات في التفسير بحسب الطريقة المتّبعة في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: التفسير بالمأثور:

ويشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما

(١) لسان العرب (٥/ ٥٥).
(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٢٦).
(٣) المرجع السابق (١/ ٢٦).
(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٣).
(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٣).
(٦) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٩٤).

نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

القسم الثاني: التفسير بالرأي:

المراد بالرأي هنا "الاجتهاد" وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، وهذا النوع من التفسير جائز لا شك فيه، وأما إذا كان التفسير بالرأي غير جار على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، فهذا هو التفسير المذموم الذي حذّر منه السلف.

ثالثا: معنى الإعلام

أ- معنى الإعلام في اللغة:

الإعلام من مادة علم، والعِلْمُ نقيضُ الجهل،وعَلِم عِلْمًا، ورجل عالمٌ وعَلِيمٌ من قوم عُلماءَ، وعَلاّمٌ وعَلاّمةٌ إذا بالغت في وصفه بالعِلْم أي عالم جداً والهاء للمبالغة، وعَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُه عِلْماً: عَرَفْتُه،وعَلِمَ وفَقِهَ أَي تَعَلَّم وتَفَقَّه، وعَلُم وفَقُه أي سادَ العلماءَ والفُقَهاءَ.

وعَلِمَ بالشيء شَعرَ، يقال: ما عَلِمْتُ بخبر قدومه أي: ما شَعرْت، ويقال: اسْتَعْلِمْ لي خَبَرَ فلانٍ وأَعْلِمْنِيه حتى أَعْلَمَه، واسْتَعْلَمَني الخبرَ فأَعْلَمْتُه إياه، وعَلِمَ الأمرَ وتَعَلَّمَه: أَتقنه.

ويجوز أَن تقول: عَلِمْتُ الشيء بمعنى عَرَفْته وخَبَرْته، وعَلِمَ الرَّجُلَ: خَبَرَه، وأَحبّ أَن يَعْلَمَه أي: يَخْبُرَه وفي التنزيل {وآخَرِين مِنْ دونهم لا تَعْلَمُونَهم الله يَعْلَمُهم}[1].

والإعلام: مصدر أَعْلَم،وأعلمه الخبرَ: أي أخبره[2]، والإعلام هو الإخبار، لكن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع[3].

ب- معنى الإعلام في الاصطلاح:

عرفوا الإعلام قديمًا بأنه عبارة عن تحصيل العلم وإحداثه عند المخاطب جاهلا بالعلم به؛ ليتحقق إحداث العلم عنده وتحصيله لديه[4].

---

(١) لسان العرب (٤/ ٣٠٨٣)

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٧/ ٤٧٤٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٠٢).

(٤) الكليات (ص: ١٤٨).

أما في العصر الحديث فللإعلام تعريفات عديدة، مختلفة باختلاف التصورات والأفكار، ونذكر هنا بعضا من هذه التعريفات:

قال د. إبراهيم إمام:"الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم"(١).

وقال د. سيد الشنقيطي: "الإعلام هو كل قول أو فعل قصد به حمل حقائق أو مشاعر أو عواطف أو أفكار أو تجارب قولية أو سلوكية شخصية أو جماعية إلى فرد أو جماعة أو جمهور بغية التأثير، سواء أكان الحمل مباشراً بواسطة وسيلة اصطلح على أنها وسيلة إعلام قديماً أو حديثاً"(٢).

ومن أشهر التعريفات وأقربها تعريف العالم الألماني "أوتوجروت" للإعلام بأنه: "التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه"(٣).

وعلى هذه التعريفات فيكون الإعلام هو وسائل الإعلام العامة من القنوات الفضائية، والمحطات التلفزيونية الأرضية، والإذاعات، والمجلات والصحف، ومواقع الإنترنت عمومَا، ومواقع التواصل الاجتماعي، ونحوها(٤).

ج- أقسام الإعلام:

يمكن تقسيم الإعلام من حيث وسائله إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الإعلام المقروء:

ويشمل ذلك القسم كل ما كان وسيلة تحصيل المعلومة منه هي القراءة، فمن ذلك: الصحف والمجلات والكتب والدوريات والنشرات والمطويات والمقالات والمدونات والموضوعات المبثوثة على شبكة الإنترنت، والرسائل المكتوبة على مواقع التواصل الاجتماعي.

القسم الثاني: الإعلام المسموع:

ويشمل ذلك القسم كل ما كان وسيلة تحصيل المعلومة منه هي السماع بالأذن، فمن ذلك:

---

(١) الإعلام الإسلامي، د. إبراهيم الإمام (ص: ٢٧).

(٢) مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم: دراسة تحليلية لنصوص من كتاب الله. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي (ص: ١٧، ١٨).

(٣) الإعلام والدعاية، د. عبد اللطيف حمزة، (ص: ٧٦).

(٤) دور الإعلام في وحدة الأمة، أ. عادل أحمد الماجد (ص: ١).

الإذاعة والتسجيلات الصوتية والمقاطع الصوتية على شبكة الإنترنت والرسائل الصوتية على مواقع التواصل الاجتماعي.

والإعلام المسموع له تأثير ووقع على الأذن، ويتميز بكونه يمكنه الوصول إلى المستمع المفترض بأقصر فترة زمنية محددة بكلفة أقل للفرد والجماعة على السواء[١].

القسم الثالث: الإعلام المرئي:

ويشمل ذلك القسم كل ما كان وسيلة تحصيل المعلومة منه هي الرؤية بالعين مع السماع بالأذن في وقت واحد، فمن ذلك:

القنوات الفضائية، والمحطات التلفزيونية الأرضية، والسينما، والمسرح، ومواقع المقاطع المرئية على شبكة الإنترنت مثل اليوتيوب، والرسائل المرئية على مواقع التواصل الاجتماعي.

والإعلام المرئي يجتذب العين والأذن في الآن ذاته، وتعود زيادة قوة التأثير في الإعلام المرئي إلى كونه ينقل الصوت والصورة المرافقة له وكأن المشاهد يرى ما يحدث عن قرب، فالفضائيات مثلا تخترق الحدود الطبيعية والجغرافية دون رقيب سياسي أو عسكري[٢].

(١) الأسس العلمية لنظريات الإعلام. د جيهان رشتي (ص: ٢٤٣)،

(٢) وسائل الاتصال نشأتها وتطورها. د محمد منير حجاب (ص: ٢٣١).

المبحث الأول: مصادر التلقي للعلوم الشرعية

أولا: مصادر التلقي للعلوم الشرعية كافة

افترقت أمة الإسلام كافتراق اليهود والنصارى، ولا تزال الأمة الإسلامية تواجه تيار العقائد الباطلة، التي تأخذ أصول تلقيها عن مصادر بعيدة كل البعد عن الكتاب والسنة، ولكل مذهب أو فرقة مصادر تلقٍّ للعلوم الشرعية تتشعّب وتتعدّد ولا تتّحد، وتفترق ولا تتّفق، وأما مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة فواحدة لا اختلاف فيها بينهم ومرجعها جميعًا لمصدرين رئيسين هما الكتاب والسنة.

أولًا: القرآن الكريم:

إن المصدر الأول في التلقي عند أهل السنة والجماعة هو القرآن الكريم، فهذا هو المصدر الذي نتلقى منه علومنا الشرعيّة كافّة، ونقر أمام الآخرين أجمعين أن كتاب الله لم ولن يتعرض إلى تحريف أو تغيير أو تبديل؛ لأن الله أوكل حفظ القرآن الكريم لنفسه؛ كما قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩].

بخلاف مناهج الكتب الأخر التي أوكل الله سبحانه وتعالى حفظها لأصحابها،فخانوا الأمانة وما رعوها فحرّفوها وغيّروها.

ثانيًا: السنّة النبويّة:

المصدر الثاني من مصدر التلقي عند أهل السنة هو السنة النبوية الصحيحة، فإذا ثبت أمر في السنة ثبت، ولم يكن حديثاً موضوعًا أو منكرًا ضعيفًا، أو فيه علّة قادحة، فإن هذا يعدّ أمرًا واجب التسليم، وواجب الأخذ،ومخالفته أو معارضته تعدّ معارضة لدين الله تبارك وتعالى.

ثانيا: مصادر تلقي علم التفسير

المراد بمصادر علم التفسير: المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكتاب الله.

وهذه المصادر هي: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين وتابعيهم، واللغة، والرأي والاجتهاد.

وإنما قيل: "المراجع الأولية"؛ لئلا تدخل كتب التفسير؛ لأنها تعتبر مصادر، ولكن الحديث هنا ليس عنها.

وقد اصطلح شيخ الإسلام ابن تيمية على تسميتها بطرق التفسير؛ حيث قال: "فإن قال قائل: فما أحسن طرقُ التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أُجمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختصر من

مكان فقد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ...، وإذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن ...، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح ...، وإذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"(١).

وسمّاها بدر الدين الزركشي مآخذ التفسير؛ حيث قال: "للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الطراز المعلم لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة؛ فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وقد ذكره جماعة منهم: مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"(٢)"(٣).

ومن كلام ابن تيمية والزركشي يتبين أن مصادر التفسير عنده مخمسة:

١- تفسير القرآن بالقرآن؛ لأن القرآن كلام الله تعالى، والمتكلم به هو أولى من يوضّح مراده بكلامه؛ فإذا تبيّن مراده به منه، فإنه لا يُعدل عنه إلى غيره.

٢- النقل عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ولكن كما نبه العلماء يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير، ولهذا قال الإمام أحمد: "ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير"(٤)؛ يعنى أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة.

٣- الأخذ بقول الصحابي؛ فإن تفسيره عند أهل العلم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم؛ لكون الصحابة يأخذون العلم عن النبي صلى الله عليه

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٣ – ٣٦٨).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الطهارة، باب: وضع الماء عند الخلاء (١/ ١٤٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٧/ ١٥٨).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ١٥٦ – ١٦١).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٠٤).

وسلم بلا واسطة، ويلحق قول التابعي الثقة على الراجح، وعلى ذلك عمل كبار المفسرين كالطبري وابن أبي حاتم وابن كثير وغيرهم، فقد حكوا في كتبهم أقوال التابعين؛ لأن غالبها تلقوها من الصحابة.

٤- الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي، وقد روي عن مجاهد انه قال: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"،وقال الإمام مالك: "لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسّر كتاب الله إلا جعلته نكالا"(١).

٥- التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع كما بيّنه الزركشي، وهو معنى التأويل عندهم، وهو الفهم والاستنباط من كتاب الله تعالى، وهذا لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل، وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه.

المبحث الثاني: الواقع التفسيري اليوم:

لا شكّ أن متقدمي المفسرين قد توسعوا في التفسير إلى حد كبير، جعل من جاء بعدهم يزهد في الكتابة في هذا العلم ظنًّا منه أنه علم اكتمل بحيث لا مجال للزيادة عليه، ممّا أدّى إلى ضعف ملكة التفسير عند المعاصرين، وقد تجلّى الواقع التفسيري اليوم في عدة مظاهر، منها:

١- ندرة المؤلفات في التفسير في العصر الحديث:

رغم أن الأصل في غالب العلوم والفنون أنه كلما تأخر الزمان توسّع العلماء في التصنيف في تلك الفنون والعلوم، وتناولوا مصنفات المتقدمين بالشرح والتحشية والزيادة، وأشهر مثال على ذلك علم الفقه، حيث نجد مصنفات المتأخرين فيه تفوق مصنفات المتقدمين بأضعاف مضاعفة.

لكن علم التفسير خاصة كان على الخلاف من ذلك، حيث قلّت المصنفات فيه في العصر الحديث بصورة واضحة.

٢- ضعف المحتوى العلمي للمصنفات في التفسير في العصر الحديث.

لم تكن قلة المصنفات في التفسير في العصر الحديث هي المظهر الوحيد لضعف ملكة التفسير في العصر الحديث، بل صاحب ذلك ضعف المحتوى العلمي فيما صُنّف على قلّته، وأكثره مجرد تلخيص لكتب المتقدمين أو محض نقل منها بلا تحرير ولا تنقيح،

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٢).

حتى أصبح علم التفسير بعيدا عن مواكبة التطور البشري والحضاري الذي هو أهم سمات هذا العصر.

٣- **غياب الموهبة في التفسير:** والموهبة علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بالحديث المرويّ: "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم"(١).

وقد يقول بعض الناس: إن الموهبة شيء خارج عن القدرة فكيف يُذكر كمظهر من مظاهر ضعف علم التفسير في العصر الحديث؟ وقدردّ السيوطي على هذه الشبهة بعد أن عدّ علم الموهبة من العلوم التي لا بد منها للمفسر فقال: "ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان. وليس الأمر كما ظننتَ من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال في البرهان: "اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا تظهر له أسراره، وفى قلبه بدعة، أو كِبر، أو هوى، أو حب دنيا، أو هو مصرّ على ذنب، أو غير متحقّق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض" قلت: وفى هذا المعنى قوله تعالى: {سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق} [الأعراف: ١٤٦]، قال ابن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن"(٢).

ولو كان التفسير مقصورًا على السماع والنقل فقط دون حاجة لموهبة، لما كان هناك فائدة لتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس بالدعاء له بقوله: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"(٣)، فدلّ ذلك على أن التأويل أمر آخر وراء النقل والسماع، وذلك هو التفسير بالاجتهاد الناشئ عن وجود تلك الملكة والموهبة، وهذا بيّن لا إشكال فيه.

٤- **الاعتماد الواضح في النقل الحرفي لبعض من كتبوا في التفسير في العصر الحديث:** وهذا الأمر أصبح ظاهرة وسمة عامّة لغالب المؤلفات في العلوم الشرعية في العصر الحديث ومنها التفسير، فضعف الموهبة وغياب الملكة مع خوض غير المؤهلين غمار التأليف بغير علم ولا دراسة أدّى إلى اعتماد هؤلاء على النقل الحرفي المحض وسرده على أنه مؤلف جديد، كما يقال: (انقل من هنا ومن هنا وقل ألّفته أنا).

ولو كان التفسير مقصورًا على مجرد النقل الحرفي من كتب المتقدمين فقط دون حاجة لموهبة وملكة واجتهاد خاص للمفسّر، لما كان هناك فائدة لتخصيص النبي صلى الله

(١) روح المعاني (١/ ٧).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢١٦).

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري (١/ ٤١)، صحيح مسلم (٤/ ١٩٢٧).

عليه وسلم لابن عباس بالدعاء له بقوله: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"[1]، كما ذكرنا من قبل،وهو يدلّ على أن التأويل هو التفسير بالاجتهاد الناشئ عن وجود الملكة والموهبة وليس مجرد النقل الحرفي الذي يحسنه كل أحد.

المبحث الثالث: الواقع الإعلامي في العصر الحديث:

إن واقع الإعلام العربي والإسلامي اليوم لا يمثل حقيقة الأمة العربية الإسلامية، ويعاني من ضعف شديد في إبراز هوية أمتنا وثقافتها، بل صار للإعلام بشكل عام، والمرئي بشكل خاص أثر سلبي أدّى إلى ضياع هويّة الأمّة، وأغلب ما تبثه هذه القنوات إنما هو برامج أجنبية تحمل في طياتها ثقافة الغرب وحضارته، بالرغم من أننا نحمل رسالة عظيمة، هي رسالة الإسلام التي ينبغي أن نبلغها للناس جميعًا، ومما يدعو إلى الحسرة، طغيان الجانب السلبي في وسائل الإعلام العربية، حيث إن الجانب الترفيهي من اللهو والغناء يمثل أكثر من ثلثي مجموع البرامج المقدمة.

وإن الناظر المنصف لواقع الإعلام اليوم وتحديدًا الإعلام العربي بما يبث وينشر ليرى كم هو بعيد كل البعد عن روح وفضائل الإسلام والعقيدة الإسلامية، بل سيرى مدى العداء الكامن فيه للإسلام والمسلمين، فنراه يعكف على بث ونفث سموم أفكاره ومفاهيمه وثقافته التي تناقض العقيدة الإسلامية، ليربي جيلاً تابعاً له بثقافة أجنبية دخيلة على الأمة كالدعوة إلى العلمانية البغيضة التي تكرّس فصل الدين عن الحياة والدولة.

كذلك نرى حرص هذا الإعلام على إفساد وتخريب أخلاق المسلمين وعقائدهم وجرح الحياء لديهم بالترويج المستمر والخبيث لمفاهيم السفور والإباحية والاختلاط بين الجنسين والخلاعة.

وفي مقابل ذلك فإن المتأمل في واقع الإعلام الموجه لخدمة القرآن يجد قصورًا واضحًا وواقعًا أليمًا، ودورًا ضعيفًا؛ لذلك لابد من تفعيل دور وسائل الإعلام في خدمة كتاب الله الكريم بما يليق ومكانته العالية، وربط الأمة به تعلّمًا وتعليمًا وعملًا. وتشجيع الشباب والناشئة من البنين والبنات على العناية بكتاب الله الكريم، وحفظه، وإجادة تلاوته، ومعرفة معانيه، والعمل به. والإعانة على إعداد جيل صالح متخلق بآداب القرآن ملتزم بأحكامه. وإبراز الجهود المبذولة لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة.

---

(١) سبق تخريجه.

المبحث الرابع: أسباب ظهور الأباطيل في التفسير الإعلامي:

أولًا: اتّباع الهوى

قال الله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: ٧].

قال ابن رجب الحنبلي: (وأصل حب الدنيا اتباع الهوى؛ قال وهب بن منبه: من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا)(١).

ولا شكّ أن تملّك الهوى وحب الدنيا من النفس يجعل صاحبها يُقدم على نشر الباطل دون خوفٍ أو تقوى.

ولقد كانَ من أهمّ صفات العلماء عند سلفنا الصالح هو مخالفة الهوى واحتقار الدنيا والتزهيد فيها؛ (قيل للإمام أحمد: إن ابن المبارك قيل له: كيف يعرف العالم الصادق؟ فقال: الذي يزهد في الدنيا ويقبل على أمر الآخرة.فقال أحمد: نعم، هكذا ينبغي أن يكون. وكان أحمد ينكر على أهل العلم حب الدنيا والحرص على طلبها)(٢).

ثانيًا: انتشار الجهل

إن انتشار الأباطيل في تفسير القرآن سببه ندرة العلم وانتشار الجهل؛ وهو علامة من أشراط الساعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ"(٣).

والمتابع لما ينتشر في وسائل الإعلام المختلفة من أباطيل في التفسير يجد القاسم المشترك بين أصحابها هو الجهل مع ادّعاء العلم، لذلك تجدهم يسخرون من أهل العلم، ويحقّرون من أقوال السلف في التفسير، ويتّبعهم على ذلك الغوغاء والجهّال؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٤).

---

(١) المصدر السابق (١/ ٨٩).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٥٦).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، رقم (٨٠) (١/ ١٧٨)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، رقم: (٢٦٧١) (٤/ ٢٠٥٦).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم (١٠٠) (١/ ١٨٤)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، رقم: (٢٦٧٣) (٤/ ٢٠٥٨).

ثالثًا: الغزو الفكري والثقافي

إن الغزو الفكري والثقافي للعالم العرب والإسلامي ترصد له ميزانيات ضخمة، وتقام له مؤسسات وأجهزة تخطط له، وترسم له المناهج والأساليب وتعد له من الوسائل والأدوات ما يجعله قادرا على تحقيق غاياته.

ولا ريب أن (المراكز الثقافية وما إليها، والإذاعات الموجهة، مسموعة ومرئية، والسينما، ودور النشر، وفروع الجامعات الأجنبية والمكتبات العامة الأجنبية التي لها إمكانات تجعلها مقصد طلاب البحث العلمي في جامعات كثيرة من بلادنا الإسلامية والعربية، فضلا عن الصحافة التي تتخذ منبرًا يصل صوته إلى كل مكان ؛ هذه كلها من أدوات الغزو الفكري والثقافي المباشرة، ولعل غير المباشر من هذه الأدوات أشدّ خطورة وأخفى آثارًا)[1].

ومن أهمّ المقاصد لحملات الغزو الفكري والثقافي الموجه ضد الأمة العربية وأجيالها، هو محاولة التشكيك بالتراث وصرف المسلمين عنه، ونشر الأباطيل في تفسير القرآن؛ لعزل المسلمين عن فهم القرآن فهمًا صحيحًا؛ لإيجاد أجيال ليس لديها مقومات هوية ثقافية واضحة، تجهل كتابها الذي هو دستور حياتها، وتفقد مكونات شخصيتها الثقافية، لتسهل بذلك السيطرة عليها، وممارسة أشكال الاستعمار الثقافي ضدها.

رابعًا: حب الشهرة

(ما زال الصادقون من العلماء والصالحين يكرهون الشهرة ويتباعدون عن أسبابها، ويحبون الخمول، ويجتهدون على حصوله.

وقال بعضهم: ما اتقى الله من أحب الشهرة.

وكان أيوب السختياني يقول: ما صدق عبد إلا أحب أن لا يشعر بمكانه، ولما اشتهر بالبصرة كان إذا خرج إلى موضع يتحرى المشي في الطرقان الخالية، ويجتنب سلوك الأسواق والمواضع التي يعرف فيها.

وكان سفيان الثوري لما اشتهر يقول: وددت أن يدي قطعت من إيطي، وأني لم أشتهر ولم أعرف.

ولما اشتهر ذكر الإمام أحمد، اشتد غمه وحزنه، وكثر لزومه لمنزله، وقل خروجه في الجنائز وغيرها، خشية اجتماع الناس عليه، وكان يقول: طوبى لمن أخمل

(١) المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة (ص: ١٢٢).

الله ذكره. وكان يقول: لو قدرت على الخروج من هذه المدينة -يعني بغداد- لفعلت حتي لا أذكر عند هؤلاء -يعني الملوك. فكان إذا مشي معه أحد من أقاربه يعرفه الناس، أبعده عنه لئلا يعرف به، وكان لا يدع أحدا يمشي معه في الطريق ولا يتبعه، فإن تبعه أحد وقف حتى ينصرف الذي معه)[1].

ولكن كثيرًا من الذين يتصدّرون في الإعلام في العصر الحديث أصابهم مرض حب الشهرة والصدارة والتفاف الناس حولهم، فجاءوا بالأباطيل والغرائب في أقوالهم ليزداد عدد المتابعين لهم ول كان ذلك على حساب دينهم وأمانتهم.

المبحث الخامس: مظاهر الانحراف في التفسير الإعلامي:

تتعدّد مظاهر الانحراف في التفسير الإعلامي، ولكن يمكن حصر هذه المظاهر في عنصرين أساسيين:

أولا: التفسير العقلاني

نشأ المنهج العقلاني في بلاد المسلمين في أوائل القرن الأول الهجري، وكان السبب الأساس لنشأته أن الخليفة العباسي المأمون بإيحاء من زعماء الجهمية والمعتزلة أرسل مجموعة من الرسائل إلى جملة من زعماء العالم غير المسلم يطلب فيها إعطاءه مجموعة من كتب المنطق والفلسفة التي في خزاناتهم، وكان من هؤلاء الزعماء ملك صقلية الذي جمع الوزراء ورجالات الدين، وقرأ عليهم رسالة الخليفة المأمون، فقال: ما رأيكم؟ فأصر الجميع على عدم التجاوب؛ لأنه عدو محارب، ما عدا بابا الكنيسة، الذي قال له: أيها الملك، لقد اطلعت على هذه الكتب، وقرأتها وعرفت ما فيها، فوالله ما دخلت هذه الكتب على قوم إلا أفسدت عقائدهم، فانسخ لهم منها نسخة وأرسلها إليهم، فارتاح الملك لهذا الرأي، ونسخ نسخة من هذه الكتب، ثم أرسلها إلى المأمون، فأمر بترجمتها وبثّها في الناس، فانتشر فيهم -بسطوة الملك- هذا الفكر الذي يقوم على قضية تقديس العقل، وأن العقل هو الحكم في كل شيء، فما حكم به العقل يؤخذ به، وما رده العقل يُرد.

كانت هذه بداية النشأة، ثم بدأ هذا الفكر يظهر ويتبلور، ويدعو إليه أصحابه بشتّى الطرق، ويكتبون فيه الكتب، ويؤلفون فيه المؤلفات، وتظهر المناظرات والمحاضرات والدروس في المساجد لبثّ هذا الفكر العقلاني.

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٧٥٥-٧٥٦)

وكان من أهم أهداف هذا الفكر هو رفض التراث وتحقير أقوال العلماء، وإخضاع كل النصوص الشرعية للجوانب العقلية.

فترتب على ذلك مدارس الرأي المختلفة، فكل واحد يأتي برأي من عنده ويعتبره حكمًا يدين به، ولذلك في هذا العصر تجد أناساً ليسوا بالعلماء، بل أشكالهم وسلوكهم وتصرفاتهم بعيدة كل البعد عن سلوك العلماء ومناهجهم، يتصدّرون لتفسير القرآن بأهوائهم، تحت مسمّى الانفتاح الفكري عن طريق الأخذ من المصادر المختلفة، كما أخذ أسلافهم المعتزلة من الفكر اليوناني وغيره، كذلك العقلانيون المعاصرون يريدون الانفتاح على الغرب، ويأخذون منه كل شيء حتى فيما يتعلّق بتفسير القرآن.

ثانيا: التفسير العلمي المنحرف

قد ذكرنا من قبل أن التفسير بالرأي إذا كان غير جار على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، فهذا هو التفسير المذموم الذي حذّر منه السلف، وعليه يحمل كلامهم في التحذير منه؛ كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ولا من فاسق بين فسقه، ولكني أخاف عليها رجلا قد قرأ القرآن حتى أزلفه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله»[1].

فهذا ونحوه وارد في حقّ من لا يراعي في تفسير القرآن قوانين اللغة ولا أدلة الشريعة، ويجعل هواه ومذهبه قائده، وهذا هو الذي يحمل عليه كلام المانعين للتفسير بالرأي، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ساق الآثار عمّن تحرّج من السلف من القول في التفسير: "فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به"[2]،وهذا مرجعه إلى التفسير بالرأي المذموم حتى وإن سمّاه أصحابه تفسيرًا علميًّا.

المبحث السادس: نماذج من التفاسير المنحرفة عند الإعلاميين:

دأب كثير من الإعلاميين على التشكيك في التراث، واستهجان أقوال أهل العلم بالتفسير من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم، ووصفها بالجهل والظلام، وهم ينابيع الهدى ومصابيح الدجى، أئمة الدين المرضيون وسادة العلم الراشدون، أهل العلم بالقرآن والسنة، العالمون بلغة العرب التي نزل بها القرآن، الذين أخذوا التفسير بالأسانيد الصحيحة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين نزل فيهم القرآن،

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٢٠٤).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص: ١٠٢).

وهم أعلم الناس بتأويله؛ لأنهم صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم، وجاهدوا معه، وتعلموا منه.

ولذلك شرع هؤلاء الإعلاميون في افتراء تفسيرات جديدة وتأويلات منحرفة لآيات القرآن الكريم، زاعمين أن كل ما جاء عن السلف من تفسير هو مجرد آراء لهؤلاء المفسرين،"وهي رهن بالمستوى المعرفي للمفسِّر ومدى رجاحة عقله، وهي أمور قد لا تسمح باقتناص المعاني الحقيقية للقرآن، فما توفر دائما للمفسر العلمُ ورجاحةُ العقل ولا سيما في العصور الخوالي التي سادها ظلام التخلف، ولم تسلم أمة من الأمم من الجهالة عبر تاريخها، وتبايُن التفاسير لا يقدح في ثبات النص وقدسيته، إنما يعني اختلاف العقول المنتجة لها كما أسلفنا، ولا يُلام المفسرون إن أخطأوا، فقد كان عليهم الاجتهاد فاجتهدوا، ولكن ليس علينا التسليم بما انتهوا إليه، ولا يمكن اقتناص معاني النص ما لم تبحث عنها، فهي لن تسقط عليك كتفاحة نيوتن، بل هي كالكنز المدفون عليك أن تنبش الأرض كي تحصل عليه"(١).

وهذا الكلام الغثّ ينبئ عن عقيدة فاسدة وطوية خبيثة ونفوس مريضة، وإذا جعلنا من كلام الله تعالى مرتعًا لكل جاهل يقول فيه برأيه ويجتهد فيه بسفهه، فهذا أوان قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ؛ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"(٢).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالأَمْرِ الْعَتِيقِ"(٣).

وتفسير كلام الله تعالى إنما هو الرواية عن الله تعالى؛ كما قال الشعبي: "والله ما من آية إلا وقد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله عز وجل"(٤)، وقال مسروق: "اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله"(٥).

---

(١) موقع المسكوت عنه في الإسلام على الشبكة العنكبوتية.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (١٠٠)، وصحيح مسلم (٢٦٧٣).

(٣) رواه الدارمي (١٤٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١ /١٣).

(٥) فضائل القرآن (ص ٢٢٩).

ومن جعل تفسير كلام الله، والرواية عن الله محل اجتهاده، وعنوان رجاحة عقله، فقال في كتاب الله بما بدا له، وأعرض عن كلام أهل العلم واستهجنه، فقد ضلّ سعيه، وحبط عمله واتبع خطوات الشيطان؛ كما قال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

وقد كان السلف يعظمون القول في التفسير، ويهاب أحدهم أن يتكلم في كتاب الله بغير علم، فمن سلك مسلكهم فقد رشد، ومن رام غير مسلكهم فقد ضل ضلالا مبينا.

وادّعاء هؤلاء المفسدين أنه لا يلزمنا التسليم بما انتهى إليه المفسرون واتفقوا عليه، هو فتح لباب الضلال على مصراعيه؛ ليخرج الناس من دين الله أفواجا، كما دخل أسلافهم في دين الله أفواجا، فمن سار على نهجهم فقد انحرف عن الجادة، وسلك مسلك أهل الأهواء والبدع الذين يحدثون في دين الله ما ليس منه، ويحرفون الكلم من بعد مواضعه.

وسوف نذكر هنا بعضًا من نماذج التفاسير المنحرفة عند هؤلاء الإعلاميين على سبيل المثال لا الحصر:

بعض نماذج من التفاسير المنحرفة عند الإعلاميين:

أولًا: قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦].

هذه الآية يذكرها كثير من الإعلاميين الذين يتكلمون عن مسألة الحرية في الدين، فيضعونها في غير موضعها، ويستدلّون بها على إنكار حدّ الردّة، ويقولو إن الإنسان يجوز له أن يخرج من الإسلام إذا شاء، كما يجوز لغير المسلم أن يدخل الإسلام إذا شاء.

ولا خلاف بين أهل العلم أن من كان من أهل الكتاب على دينه لا يُكره على الدخول في الإسلام؛ كما قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩]، فبيّنت الآية أن أهل الكتاب لا يقاتلون حتى يدخلوا في الإسلام، وإنما يقاتلون حتى يعطوا الجزية، فحريّة الاعتقاد مكفولة لليهودي أو النصراني أن يبقى على دينه، ولكن مَن دخل في الإسلام فلا يجوز له الخروج منه،وإن خرج منه فهو مرتد يجب قتله كما جاء ذلك صريحًا صحيحًا في

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(١).

وقد حاول هؤلاء الإعلاميون التشكيك في هذا الحديث مع كونه في صحيح البخاري، وزعموا أنه حديث غريب لم يرد من غير هذا الطريق.

وهذا الكلام يدل على جهلهم بعلم الحديث والأسانيد، لعدّة أمور:

أولًا: هذا الحديث قد جاء في صحيح البخاري، وهو مما تلقته الأمة بالقبول، ولم نعلم أحدًا من الأئمة تكلّم فيه بالتضعيف أو الإعلال.

ثانيًا: الحديث له متابعات وشواهد كثيرة عند غير البخاري يعلمها كل من تتبّع أسانيد ذلك الحديث.

ثالثًا: حدّ الردّة كان معروفًا عند جميع الصحابة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ اللهَ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ ثُمَّ اتَّبَعَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَلْقَى لَهُ وِسَادَةً، قَالَ: انْزِلْ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوثَقٌ، قَالَ: مَا لِهَذَا؟ قَالَ: أَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ، قَالَ: «لاَ أَجْلِسُ حَتَّى أَقْتُلَهُ، قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ(٢).

ثانيًا: قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} [الأعراف: ١٥٧]

يزعم كثير من الإعلاميين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ويكتب، حتى قال أحدهم:"لم أرى طيلة حياتي أمة تتباهى وتتفاخر بأمية زعيمها (نبيها) مثل الأمة الإسلامية. التي أخذت من أمية محمد مصدراً للتفاخر والاعتزاز.وكأن الجهل وقلت المعرفة شيئاً يعتز به ويبني أصحاب نظرية الأمية، نظريتهم هذه على بعض الآيات القرآنية التي أساءوا تفسيرها وتأويلها مفسري القرآن"(٣).

وقالوا: إن الأميّ في هذه الآية نسبة إلى أمّ القرى، بل منهم مَن شطح وادّعى أن لفظ "أميّ" غير عربي! بل هو مصطلح توراتي يعني من ليس إسرائيليا وليس له في اللغة العربية أي مدلول!

لا شكّ أن هؤلاء الخبثاء لا يريدون إثبات فضيلة للنبي صلى الله عليه وسلم بادّعاء أنه كان يعرف القراءة والكتابة، بل يريدون أن ينفذوا من خلاله إلى ادّعاء أن

---

(١) رواه البخاري (٣٠١٧).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري: (٦٩٢٣، ٧١٥٧)، صحيح مسلم: (١٧٣٣).

(٣) مقتبس من مقال بعنوان (أمية محمد في ميزان العقل والنقل)، وقد آثرنا أن ننقل كلامه كما هو بالقص واللصق على ما فيه من أخطاء إملائية ولغوية بدهية ليعلم المسلمون المستوى العلمي الحقيقي لهؤلاء الناقدين الحاقدين.

القرآن من تأليف النبي صلى الله عليه وسلم، حيث لا غرابة في ذلك إذا كان يجيد القراءة والكتابة! ويكأنّ القراءة والكتابة هما علة تأليف القرآن – حسب زعمهم –،أو ويكأن كل من يحسن القراءة والكتابة فلابد وأن يحسن النظم والتأليف!

وهكذا كان وما زال المعارضون الجاحدون لكتاب الله يدورون في حلقة مفرغة حول مركز واحد هو دعوى بشرية القرآن الكريم، كما قال تعالى عن زعيمهم في هذا الادّعاء: {كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر: ١٦ – ٣٠].

وللردّ على هذه الشبهة نذكر بعض النصوص من القرآن والسنّة الدالة على أمية الرسول صلى اله عليه وسلم–وإن كان ذلك محل إجماع من علماء المسلمين–:

١ – قوله تعالى:{وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} [العنكبوت: ٤٨].

قال ابن كثير: "قال تعالى: {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك} أي: قد لبثت في قومك –يا محمد –ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عمرا لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب. وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، كما قال تعالى: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر} الآية [الأعراف: ١٥٧]. وهكذا كان، صلوات الله وسلامه عليه دائما أبدا إلى يوم القيامة، لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرا ولا حرفا بيده، ... قال الله تعالى: {وما كنت تتلو} أي: تقرأ {من قبله من كتاب} لتأكيد النفي، {ولا تخطه بيمينك} تأكيد أيضا، وخرج مخرج الغالب، كقوله تعالى: {ولا طائر يطير بجناحيه} [الأنعام: ٣٨]، وقوله: {إذا لارتاب المبطلون} أي: لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول: إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء"(١).

٢– قوله تعالى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان: ٥]وفيه اعتراف الكفار بأمية النبي صلى الله عليه وسلم وعدم معرفته القراءة

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٥، ٢٨٦).

والكتابة، فقولهم: {اكتتبها} أي: كُتبت له {فهي تملى عليه} أي: لتُتلى بعد ذلك على مسامعه صباح مساء.

٣ – قوله تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: ١٦– ١٨] حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاجل جبريل بالقراءة عند نزوله عليه بالقرآن خشية أن يتفلت منه، فضمن الله تعالى له الحفظ، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم كاتبًا قارئًا لما خشي ذلك لأن عليه فقط أن يدون ما نزل عليه ليرجع إليه عند الحاجة.

٤ –اتخاذه صلى الله عليه وسلم كتبة للوحي دليل بارز على أميته إذ لو لم يكن كذلك لكتب القرآن بنفسه.

٥ – حديث نزول جبريل عليه السلام بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء أول مرة ، حيث كرّر عليه مستهل سورة العلق: {اقرأ}،وكان ردّه صلى الله عليه وسلم المؤكد بالتكرار في كل مرة: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ"[(١)]، وهذه الصيغة تفيد العموم؛ حيث وقعت النكرة "قارئ" في سياق النفي، والمعنى: لا أحسن أي القراءة مطلقًا.

٦ –حديث «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ»[(٢)]، فهذا تصريح واضح مصدّر بالتوكيد ومذيل بجملة بيانية تفسيرية لمعنى الأميّة وهي: "لا نكتب ولا نحسب".

ثالثًا: قوله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠].

يدّعي كثير من هؤلاء الإعلاميين أن هذه الآية خاصّة بالنبي صلّى الله عليه وسلم، ولا تشمل عموم الأمة، وأن اليهود والنصارى الآن يمكن أن ينشأ بيننا وبينهم المودة والإخاء والرضا أيضًا، محاولين بذلك إضعاف عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين.

وللردّ على هذه الشبهة نقول: إن كثيرًا من أحكام الدين وردت في القرآن الكريم بتوجيه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقد أجمع المسلمون على أنها عامّة تشمل جميع الأمة؛ كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (٣، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢)، صحيح مسلم (١٦٠).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (١٩١٣)، صحيح مسلم (١٠٨٠).

يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق: ١ – ٥]

فهذه أحكام الطلاق والعدّة المعمول بها بين جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والمنصوص عليها في قانون الأحوال الشخصية في جميع ديار الإسلام، قد جاء الآيات مصدّرة بقوله تعالى: {يا أيها النبي}، وما سمعنا أحدًا قطّ قال إن هذه الأحكام خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم!

ودرب الخصوصية في نصوص القرآن تؤخذ بالتنصيص والتصريح؛ مثل قوله تعالى {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} [الأحزاب: ٥٠] ولو كان في الأصل أن توجيه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يدلّ على الخصوصية لكان قوله تعالى:{خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} لغوًا، وحاشاه ذلك سبحانه وتعالى، فدل قوله:{خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} على أن الأصل في الخطاب الموجّه للنبي صلى الله عليه وسلم أنه عام يشترك فيه معه أمته.

رابعًا: قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: ١٠٥].

يحاول كثير من الإعلاميين التهوين من انتشار المنكرات والفواحش بين المسلمين مستدلين بهذه الآية بدعوى أن الإنسان مسئول عن نفسه فقط، ولا ينبغي له أن يهتمّ بما يحدث حوله من منكرات.

وقد تنبّه الخليفة الراشد أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه إلى هذا المعنى المغلوط الذي قد يفهمه بعض الناس من الآية وحذّر منه، كما جاء من حديث قيس بن أبي حازم قال: "قَامَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: ١٠٥] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ، وَلَا يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ [ص:١٩٨] يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ»[(١)].

(١) رواه أحمد في المسند (١، ٥٣)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٠٩٢)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣٠٤).

خامسًا: قوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} [النساء: ٣٤].

زعم بعض هؤلاء الإعلاميين أن لفظ "الرجال" في هذه الآية يشمل الذكر والأنثى، وأن لفظ "النساء" أصله من النسيء أي:الجديد،أو الأخير، يريدون بذلك نفي أحكام القوامة والولاية إرضاء لسادتهم في بلاد الغرب.

وهذا الكلام الغثّ إنما ينبئ عن جهل قائله مع خبث طويته وسوء نيته، فقد تواتر كلام أهل العلم في تفسير هذه الآية بذكر قوامة الرجل على المرأة وولايته عليها؛ قال ابن كثير: "يقول تعالى: {الرجال قوامون على النساء} أي: الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت {بما فضل الله بعضهم على بعض} أي: لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة؛ ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الأعظم؛ وكذا منصب القضاء وغير ذلك، {وبما أنفقوا من أموالهم} أي: من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيما عليها، كما قال الله تعالى: {وللرجال عليهن درجة} الآية [البقرة: ٢٢٨]"[(١)].

وقال القرطبي: "ولا يخفى على لبيب فضل الرجال على النساء، ولو لم يكن إلا أن المرأة خلقت من الرجل فهو أصلها، وله أن يمنعها من التصرف إلا بإذنه، فلا تصوم إلا بإذنه ولا تحج إلا معه، وعلى الجملة فالدرجة تقتضي التفضيل، وتشعر بأن حق الزوج عليها أوجب من حقها عليه، فله رفع العقد دونها، ويلزمها إجابته إلى الفراش، ولا يلزمه إجابتها"[(٢)].

سادسًا: قوله تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ} [النساء: ٣٤].

هذه الآية يوردها كثير من هؤلاء الإعلاميين، ويزعم أن الضرب المذكور فيها معناه المفارقة، والمباعدة، والانفصال والتجاهل، خلافا للمعنى المتداول الآن لكلمة (ضرب)، ويزعم أن الضرب على الوجه يستخدم له لفظ (لطم)، والضرب على القفا (صفع)، والضرب بقبضة اليد (وكز)، والضرب بالقدم (ركل)، وفي المعاجم: ضرب الدهر بين القوم أي فرّق وباعد، وضرب عليه الحصار أي عزله عن محيطه، وضرب عنقه أي فصلها عن جسده، فالضرب عندهم يفيد المباعدة والانفصال والتجاهل، ومنه

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٢).
(٢) تفسير القرطبي (٣/ ١٢٥).

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى} [طه: ٧٧]، أي: افرق لهم بين الماء طريقا، وقوله تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} [الشعراء: ٦٣-٦٧]، أي: باعد بين جانبي الماء، وقوله تعالى: {لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ} أي: مباعدة وسفر، وقوله تعالى: {وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللّهِ} [المزمل: ٢٠]، وقوله تعالى: {فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد: ١٣]، أي: فُصل بينهم بسور، ويُقال: "ضرب به عُرض الحائط" أي: أهمله وأعرض عنه، ويزعمون أن ذلك المعني هو المقصود في هذه الآية: {فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}، ويقولون: الآية تحض على الهجر في المضجع والاعتزال في الفراش، أي: لا يجمع بين الزوجين فراش واحد، وإن لم يُجد ذلك فهو (الضرب) بمعنى المباعدة، والهجران، والتجاهل، وهو أمر يأخذ به العقلاء من غير المسلمين على حدّ زعمهم.

فيقال لهم: ألم يأت الضرب في كتاب الله وفي لغة العرب وفي صحيح السنة وفي كلام أهل العلم بمعناه المعروف الآن؟ كما في قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}[الأعراف: ١٦٠]، وقوله: {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ} [ص: ٤٤]، وقوله: {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}[محمد: ٢٧].

فلماذا لا يحملون قول الله تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ} على هذا المعنى الوارد في كتاب الله؟! وهو المعروف في السنة وكلام علماء الأمة؛ وهو المتبادر لأول وهلة؛ كما جاء صريحًا في حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع: "اتَّقُوا اللَّهَ في النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذلك فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غير مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"(١).

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

فهل يعني قوله صلى الله عليه وسلم: (فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غير مُبَـرِّحٍ) غيـر هذا الضرب المعروف؟!والذي يكون على معنى التأديب وطلـب الاسـتقامة لا علـى المعنى الذي يتوهّمه هؤلاء المفسدون من الإهانة والإذلال.

أم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضًا لم يكن يعرف معنى الضرب في الآية!! وأنه غاب عنه ما لم يغب عن هؤلاء الجاهلين الضالين!

وقولهم إن "الآية تحض على الهجر في المضجع والاعتزال في الفراش،أي لا يجمع بين الزوجين فراش واحد، وإن لم يجدِ ذلك فهـو (الـضرب) بمعنـى المباعـدة والهجران والتجاهل، وهو أمر يأخذ به العقلاء من غير المسلمين".

لا شك أنه يخالف الحديث الصحيح الصريح الذي أوردناه، بل إنـه يخـالف معنى الآية نفسه؛ لأن الآية بدأت بالوعظ، وثنّت بالهجر، وثلّثت بالـضرب، وهـؤلاء جعلوا الهجر والضرب شيئًا واحدًا.

وقولهم: "وهو أمر يأخذ به العقلاء من غير المسلمين " يبين ما انطوت عليـه نفوسهم من خبث الطوية وفساد الاعتقاد؛ حيث جعلوا مَن سموهم العقـلاء مـن غيـر المسلمين أهدى سبيلا من المؤمنين الذين يأخذون بهدي خاتم المرسلين صلى الله عليـه وسلم.

وقد أمر الله في كتابه بالإحسان إلى الزوجة وإكرامها ومعاشرتها بالمعروف، وبين أن لها حقوقا على زوجها كما أن له حقوقا عليها.

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الزوجة وإكرامها، بل جعل خير الناس من يحسن إلى أهله، فقال: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي"(١).

وإذا نشزت المرأة على زوجها وعصت أمره سـلك معهـا سـبيل الـوعظ والتذكير، فإن لم يفد سلك معها سبيل الهجر في المضجع، فإن لم يفد ضـربها ضـرب تأديب وتعليم، لا انتقام وإيذاء، فليس المقصود إهانتها وإيذاؤها كما يظن هـذا الـضال وأمثاله، وإنما المقصود الإصلاح والتقويم؛ فإن من النساء من لا يقوّمهن إلا الـضرب، ومَن لا تحتاج إلى شيء من ذلك فلا سبيل لأحد عليها، لا الزوج ولا غيره.

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، وصححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي".

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته ومن والاه، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا كما يحب ربي ويرضى لما وفقني وأنعم علي سبحانه وتعالى به من حسن إتمام هذا البحث، وأسأل الله العلي القدير أن يتجاوز عن زلتي وخطأي، وكل ما كان فيه من صواب فمن الله سبحانه وتعالى، وما فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- المصنّفات في التفسير تنقسم بحسب الطريقة المتّبعة في التفسير إلى قسمين: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي.

٢- إذا كان التفسير بالرأي غير جار على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، فهذا هو التفسير المذموم الذي حذّر منه السلف.

٣- المقصود بالإعلام في العصر الحديث هو وسائل الإعلام العامة من القنوات الفضائية، والمحطات التلفزيونية الأرضية، والإذاعات، والمجلات والصحف، ومواقع الإنترنت عمومًا، ومواقع التواصل الاجتماعي، ونحوها.

٤- يمكن تقسيم الإعلام من حيث وسائله إلى ثلاثة أقسام:الإعلام المقروء، والإعلام المسموع، والإعلام المرئي.

٥- مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة واحدة لا اختلاف فيها بينهم، ومرجعها جميعًا لمصدرين رئيسين هما الكتاب والسنة.

٦- ضعف ملكة التفسير عند المعاصرين، ممّا أدّى إلى ندرة المؤلفات في التفسير وضعف المحتوى العلمي لها في العصر الحديث.

٧- واقع الإعلام العربي والإسلامي اليوم لا يمثل حقيقة الأمة العربية الإسلامية، ويعاني من ضعف شديد في إبراز هوية أمتنا وثقافتها وحضارتها.

٨- من أسباب ظهور الأباطيل في التفسير الإعلامي: حب الشهرة، واتباع الهوى وحب الدنيا، وحملات الغزو الفكري والثقافي للعالم العرب والإسلامي، مع كونه علامة من أشراط الساعة.

٩- يمكن حصر مظاهر الانحراف في التفسير الإعلامي في عنصرين أساسيين: التفسير العقلاني، والتفسير العلمي المنحرف.

التوصيات:

١- لابد من تفعيل دور وسائل الإعلام في خدمة علم التفسير ورد الشبهات التي يوردها الإعلاميون على كتب التفسير.

٢- تشجيع الشباب والناشئة من البنين والبنات على العناية بكتب التراث المختصة بتفسير القرآن الكريم لدفع الشبهات عنه.

٣- إعداد موسوعة تشمل كل ما يورده هؤلاء الإعلاميون من أباطيل في تفسير آيات الله تعالى، والردّ عليها وبيان التفسير الصحيح لها.

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإتقان في علوم القــرآن**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الــدين الــسيوطي (المتوفى: ٩١١هــ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هــ/ ١٩٧٤ م.

٢- **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، المؤلف: د. جيهان رشتي (معاصر)، بدون طبعة.

٣- **الإعلام الإسلامي**،المؤلف: د. إبراهيم الإمام، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعــة الأولى: القاهرة: ١٩٨٠.

٤- **الإعلام والدعاية**، المؤلف: د. عبد اللطيف حمزة، الناشر: دار الفكر العربــي، الطبعــة الثانية: ١٩٧٨م.

٥- **البحر المحيط في التفسير**، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بــن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هــ)، المحقق: صدقي محمد جميــل، الناشــر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هــ.

٦- **البرهان في علوم القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهــادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هــ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعــة: الأولــى، ١٣٧٦هــ – ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

٧- **تاج العروس من جواهر القاموس**، المؤلف: مرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هــــ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٨- **التوقيف على مهمات التعاريف**، المؤلف: عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحــدادي ثــم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هــ)، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولــى، ١٤١٠هــ-١٩٩٠م.

٩- **جامع بيان العلم وفضله**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هــ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هــ – ١٩٩٤م.

١٠- **دور الإعلام في وحدة الأمة**، المؤلف : أ. عادل أحمد الماجد نائب مــدير قنــاة المجــد الفضائية، بدون طبعة.

١١- **ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى**، المزني، أبو المضرَّب، شاعر مخضرم، الناشــر: دار صادر، بدون طبعة.

١٢- **ذيل طبقات الحنابلة**، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

١٣- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

١٤- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٦- **صحيح البخاري**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٧- **صحيح مسلم**، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٨- **القاموس المحيط**، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٩- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٠- **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ه.

٢١- **مجموع الفتاوى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢٢- **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة:الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٣- **المحكم والمحيط الأعظم**، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤- **مختار الصحاح**، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٥- **المخصص**، المؤلف: علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٦- **مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم**: دراسة تحليلية لنصوص من كتاب الله، المؤلف: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٦م.

٢٧- **مقدمة في أصول التفسير**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٩٠هـ، ١٩٨٠م.

٢٨- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

٢٩- **المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة**، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة – العدد الرابع – ربيع أول ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

٣٠- **وسائل الاتصال نشأتها وتطورها**، المؤلف: د. محمد منير حجاب، بدون طبعة.